الإنيّة و الغيريّة

في معرفة حقيقة الإنسان

هيدجير

"يرتبط الإنسان بوجوده كما يرتبط بإمكانه الأخص به"

الوجود و الزمن

مدخل إلى التفكير في المسألة

1 دواعي الاهتمام

– التظنّن على الفلسفة بما هي ميتافيزيقا تفكرّ في الإنسان وتنسى الإنساني فيه [الميتافيزيقا نسيان للإنساني] أو الفلسفة بما هي تساؤل عن الإنسان ونسيان للإنساني.

– القول بتاريخية الإنسان أو بزمنيّة وجوده.

– الإنتقال من سؤال الماهية إلى مساءلة الوضع الإنساني، من جهة كون الإنساني مهمّة الإنسان.

– الانتباه إلى أن الإنية قد لا تفهم إلاّ في جدل الكثرة و الوحدة، ما دام الإنسان ينشأ في صميم وحدة الكثرة العضوية كائنا بشريا مهيأ طبيعيا للخروج من رحم الأم إلى رحم الكون.

– الوعي بالطابع المركب للإنيّة و الانتقال من براديقم الوحدة البسيطة إلى براديقم الوحدة المركّبة.

2 إحراجات المسألة

1. الإنيّة سؤال عن الإنساني

- إذا سلمنا بأن السؤال عن الإنسان هو كل الفلسفة فما الذي يجعل هذا السؤال يحوز كلّ هذه المكانة في الفلسفة؟ و هل من مبرّر لمعاودة طرحه اليوم؟ أم أننا بإعادة طرحه نكون على شاكلة من يريد خلع أبواب مفتوحة ؟
- هل في السؤال عن الإنيّة سؤال عن الإنسان أم عن الإنساني؟ هل من مشروعية للتميز بين السؤالين ؟
- بماذا نفسرّ هذا الانتقال من سؤال ما الإنسان؟ إلى سؤال ما الإنساني؟ هل بانكشاف عدم وجاهة السؤال أم بتعذّر الإجابة؟ ألا يعني الانتقال مجرّد نقلة عبثية من مشكل لآخر؟

Tunisie DEVOIR.TN

2. الإنيّة استبعاد للغيريّة

- إذا كان لهذه النقلة ما يبرّرها اليوم فهل نطمئنّ لذات النداء الذي وجه الفلسفة منذ سقراط نحو معرفة الإنسان لذاته بذاته ؟
- و هل يحق لنا اختزال حقيقة الإنسان أي إنيّته في مايعرفه عن ذاته أي في وعيه؟ فهل يفيد الوجود الواعي بهذا المعنى على إنيّة منغلقة على ذاتها أو على أنانة ؟
- ألا يفترض اثبات الإنية بهذا المعنى استبعاد الغيريّة؟
- ألا يحيل هذا الاستبعاد على تصوّر للإنيّة لا يستوفي حقيقة الغيرية أو لا يرى فيها سوى موضوعا موسوما بالسلبية؟

3. الغيريّة إنيّة الآخر

- هل لا تفهم الغيريّة إلا من جهة كونها موضوعا؟ ألا يكشف هذا الفهم أننا إزاء مشكل معرفة لا مشكل علاقة؟
- وهل لا تفيد الغيريّة إلاّ معنى الموضوع أو الآخر؟ أليس من الممكن أن يكون للآخر في غيريّة إنيّة؟
- امتلاك الآخر إنيّة هل يبقيه آخر أم هو الغير؟ وإذا لم يكن الغير أنا فهل يعني ذلك أنه الآخر أم هو أنا آخر؟
- أليس إثبات الإنيّة عندها هو في ذات الحين إثبات للغيريّة؟

الغيّرية وموضعة الإنيّة

- فما وجه الحاجة لأنا الآخر أو إلى الغير إذا الغير بدوره يحوّلني موضوعا؟ و هل في موضعتي غنما يبرّر الحاجة إلى الغير؟ أليس الغير هو ما به أدرك إنيّتي و أثبتها؟
- لكن هل يمكن للآخر الذّي ليس أنا أن يعرفني أكثر مني ؟ ألا تحيل الموضعة على اغتراب الإنيّة و غربتها أو على تحوّل الإنيّة شيئا من أشياء العالم ؟ فهل علاقة الأنا بالغير هي علاقة بين أشياء أم بين ذوات؟
- و هل يحقّ لنا اختزال علاقة الإنيّة بالغيريّة في علاقة ذات بموضوع؟ ألا يحتاج منا تجاوز هذا المشكل الانتقال من براديغم المعرفة إلى براديغم الاعتراف؟

الصراع و مطلب الإعتراف

- هل انتزاع الاعتراف أمر هيّن إذا كان الأنا والغير يرغبان فيه معا؟ أليس الصراع هو شرط اقتلاع الاعتراف من الآخر؟
- وهل الصراع هو الأفق الوحيد للعلاقة بين الذوات؟ وهل قدر الإنسانيّ أن يكون امتيازا لهذا دون ذاك؟
- هل أن اللقاء بالآخر هو مناسبة ضرورية للصراع؟ أم أن الاعتراف بغيرية الآخر تقتضي علاقة مواجهة (وجها لوجه)قوامها الحب أو الصداقة أو التعاطف...؟

Tunisie DEVOIR.TN

ضخّ الغيريّة : مأزق الإنيّة

- ألا ننتهي بذلك إلى مأزق جديد يكمن في الاقرار بتعالي الغير وأولويته؟ وكأن قدر الإنساني أن يبارح قلعة الأنانة ليحل في قلعة الغير؟
- هل لا مناص من الانتصار إلى تعالي الذات أو تعالي الغير؟ وهل قدر هذه العلاقة أن تكون إما استبعادا أو استعبادا أو تكفيرا عن ذنب؟

الغيريّة بنية المجال الإدراكي

- إذا كان الغير ليس مجرّد موضوع في حقل إدراكي الحسّي فهل هو ذات تدركني إدراكا حسيا أم أنه وقبل كلّ شيء بنية الحقل الإدراكي ذاته؟
- ألا ينبغي حينها ألا ننظر إلى الغير بوصفه موضوعا ولا بوصفه ذاتا وإنما بوصفه بنية أو حقل الإدراك أو ما يجعل من تحقق الإنية إمكانا مادام عالم الغيرية يجعل الإنية تتحرك داخل عالم الممكن؟

4. الغيريّة إنيّة الأنا

- إذا كان الغيرية شرط إمكان تحقق الإنية، فهل لا تفهم الغيرية إلا على معنى خارجي؟ ألا ينبغي أن نتجاوز السطح إلى العمق لنتراءى لنا غيرية الآخر سرا سطحيا جدا، في مقابل غيرية الأنا التي تتوارى عن الأنظار أو التي لا يمكن إدراكها إلا بحفريات ترتدّ بنا إلى الخفي والمكبوت والمسكوت عنه؟
- ألسنا في حاجة وفق هذا القول إلى استعادة ما عُدّ غيريّة مهمّشة و مقصاة؟ ألا يفيد منطق الاستعادة معاودة النظر في منزلة الجسد، العالم، الوعي، اللاوعي، التاريخ... في تحديد الإنيّة؟

الجسد هذا الأنا الآخر

- هل يعبّر الجسد عن الغيريّة أم هو صوت الإنيّة المعيش؟ أي هل يعدّ الجسد غيريّة تشدنا لعالم ما دون الإنسان أم هو القفزة الحقيقية نحو الإنسانيّة؟
- ألا يستلزم تأكيد الإنية توسط الجسد؟أليس الجسد هو شرط الانخراط في العالم و الالتقاء بالغير؟ أليس هو نافذة الإنيّة التي نطل من خلالها على العالم و الغير و الذات؟
- ألا يفيد هذا أن ما كان يحسب غيريّة هو ما به تُدرك الإنيّة وتُدرك بل و تكون؟

الغيريّة عمق الإنيّة

- ألا نعثر داخل الحضور الإنساني ذاته، لحظات تكشف تنوّع هذا الحضور؟
- ألا يعبّر اللاوعي عن عمق الحقيقة الإنسانيّة؟ فأيّ حقيقة للإنيّة تشكّكَ فيها فرضيّة اللاوعي؟

Tunisie DEVOIR.TN

- ألا يدفعنا منطق التظنن هذا إلى مراجعة فهمنا لحقيقة الإنسان أوإنيّته؟
- ألا تفيد هذه الفرضيةّ أن للحقيقة مكان آخر؟ أو أن الحقيقة هي بالأساس ما يتحقق؟

5. الإنيّة وعد بالإنساني

• إذا سلمنا أن الحقيقة هي ما ينبغي تحقيقه، ألا تتحول الإنية عندها من ماهية ثابتة مكتفية بذاتها إلى مشروع ينجز؟ ومن مبدأ إلى مطلب؟

• ألاتفيد الإنية وفق هذا المنطوق على الكثرة لا على الوحدة، والزمنية بدل الثبات؟ ألا يكشف الوعي بأن الإنية مهمة أنّ طلب تحققها لا يكون في العزلة أو بالتعالي وإنما بالعيش مع الغير وبالغير ومن أجله سواء كان الغير خارجيا أو كامنا ليكون بحث الإنسان عن شروط تحقيق إنيته هو بحث عن شروط تحقيقها بشكل كلّي لا تكريسا للمماثلة وإنما تشريعا للاختلاف وتأسيسا للوحدة المتكثرة؟.

• ألا تكون بذلك الإنيّة جدارة واستحقاقا لا معنى لها خارج التاريخ تأثرا وتأثيرا؟

• فأيّ جدليّة تتيح للإنسان الاضطلاع بإنسانيّة تكون فيها الإنيّة غيريّة و الغيريّة إنيّة؟

3 رهانات التفكير في المسألة

- إدراك خصوصية الإنساني في الإنسان.
- الوعي بطبيعة العلاقة الإشكالية بين الأنا و الغير.
- التحرر من التحديد الضيق و الميتافيزيقي للإنية كأنانة أو أنا وحدية، و التفطنّ للطابع المركب للإنيةَ.
- الانتقال من النظر للغيرية كنفي للإنية إلى اعتبارها شرط تحقق.
- إدراك أن الإنية لا تتحددّ بذاتها كمعطى مستقلّ و إنما بما هي مشروع.
- الانتقال من فكرة الطبيعة الإنسانية إلى القول بشروط تحقق الإنساني.
- الحديث عن وحدة الإنساني لا يتعارض مع فكرة الكثرة.
- التأكيد على أن الإنسان كفرد لا وجود له و إنما هو بنية تاريخية و اجتماعية و نفسية.

Tunisie DEVOIR.TN